

Received at: 2023-01-28 Accepted at: 2023-05-21 Available online: 2023-05-25

إطالة على طرائق تجميع الوثائق الجزائرية مع بداية النصف الثاني

من القرن ١٩م "الجمعية التاريخية الجزائرية أنموذجاً

*Overview of data collection methods**Algerian documents at the beginning of the first half of the 19th century:
the "Algerian historical society" as an example*

محمد صاحبي

أستاذ جامعي: بقسم علم المكتبات والعلوم الوثائقية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران ١ (أحمد بن بلة)

Mohamed Sahbi*university Profesor: Documentary science and library science Department, Faculty of
human sciences and islamic sciences. University Oran1(Ahmed Benbella).*mohamedsahbi74@yahoo.fr**Abstract:****المخلص:**

Barely twenty-six years after the occupation of Algeria - that is to say in the year 1856 - the French occupying authorities decided, with the encouragement of the Ministry of War, to create the " Algerian Historical Society". Among their assigned objectives: the preparation of a complete campaign of exploration of the Algerian soil, aiming to collect everything that would make it possible to obtain data and information on the zones under their occupation, and to extend it to zones still "outside control". Among the most important things that the association has inscribed in its agenda are documents, collectibles, numismatics and other materials that can reveal the "history" of Algeria and the region since the Libyan (antiquity) era up to the period of Turkish domination.

The "Algerian Historical Society" and its spokesperson, the "Revue Africaine", which came into being the same year, decided that all documents that would come into the possession of soldiers or civilians involved in the campaign should be collected, translated and inscribed, mentioning the geographical location in which they were found.

Key words:

Algerian Historical Society; African Review; description campaign; documents; collection methods

لم يكد يمر على احتلال الجزائر ستة وعشرين عاما- أي في سنة ١٨٥٦م- حتى قررت سلطات الاحتلال الفرنسية وبتشجيع من وزارة الحربية، إنشاء " الجمعية التاريخية الجزائرية". ومن بين الأهداف المرسومة لها: تجهيز حملة تنقيب واستكشاف كامل للتراب الجزائري، تستهدف إلى تجميع كل ما من شأنه الحصول على البيانات والمعلومات الخاصة بالمناطق التي وقعت تحت الاحتلال، وتوسيعها إلى المناطق التي تزال "خارج السيطرة". ومن أهم ما سطرته الجمعية في أجندتها، الوثائق: المقتنيات، وغيرها مما يمكن إمطة اللثام عن تاريخ الجزائر.

وقد ارتأت "الجمعية التاريخية الجزائرية" ولسان حالها " المجلة الإفريقية" التي عرفت النور في نفس سنة الجمعية، أن يتم تجميع كل الوثائق التي تقع بحوزة العسكريين أو المدنيين المعنيين بالحملة، وهذا بترجمة ووصف الوثائق وصفا دقيقا مع ذكر الموقع الجغرافي الذي عُثرت فيه، والتعريف بالمكان أو الموقع إن أمكن.

الكلمات الدالة: الجمعية التاريخية الجزائرية؛ المجلة الإفريقية؛ الوثائق؛ طرائق التجميع.

المقدمة:

لا جدال في القول بأن الثورة الفرنسية (١٧٨٩م) قد قدمت للبشرية مجموعة من القيم العليا (مساواة/ حرية/ أخوة)، لكنها كأية ثورة قد مهّدت الطريق أمام بعض مروجي أفكارها لارتكاب حماقات وتجاوزات في حق شعوب عديدة منها الأوروبية وغير الأوروبية.

لقد قامت هذه الثورة الفكرية والسياسية على وجه الخصوص بتأميم ممتلكات الطوائف الدينية والجامعات الخاصة والقصور الملكية على اختلاف أنواعها، والاستحواذ فيما بعد على كتب ووثائق مخطوطة ومقتنيات من تحف ولوحات فنية من داخل فرنسا وخارجها.

لقد أسهم هذا الوضع الاستثنائي في نشأة المكتبات والمتاحف ومراكز الوثائق، التي نادت بتكوينها مبادئ الثورة الفرنسية القائمة على المشاركة والحرية في الحصول على المعلومات وإتاحة الفرص أمام الجميع (للفرنسيين طبعاً) بعدما كانت حكراً على فئة محددة من المجتمع وهي الفئات الميسورة والمرتبطة عضويًا بالنظام السياسي القائم...وقد كان لزاماً بعد توريد كميات ضخمة من تلك الكتب والوثائق المخطوطة وغيرها، في أقبية تابعة لسلطة الثورة الجديدة، اللجوء إلى حصر هذه المواد: ترتيبها و فهرستها بقصد الاستفادة منها عند الضرورة، وقد صاحب هذه الحركة المنهجية بالدرجة الأولى، وبالأخص حول الوثائق، إصدار التشريعات والقواعد المنظمة لعلم الوثائق، وصقل مفاهيمها ومصطلحاتها، الأمر الذي لم يؤد فحسب إلى بروز أسماء علماء ومنظرين في مجال علم الوثائق ، بل أيضاً إلى استغلال ذلك في حملات التنقيش عن الوثائق في بلدان عديدة وقعت فيما بعد في براثن الاحتلال مثل الجزائر.

لكن، وعلى الرغم من تشبّع كُتاب ومفكري القرن التاسع عشر الفرنسيين بالمُثل العليا التي أفرزتها الثورة الفرنسية، إلا أن أغلبيتهم، انساقوا وراء حملات الدعاية الاستعمارية، متناسين ما دافعوا عنه في كتبهم ومقالاتهم^١.

و من هؤلاء، يمكن ذكر على سبيل المثال: أليكسي دي توكفيل صاحب كتابي "حول الديمقراطية في أمريكا" و "حول الجزائر" ،

DE TOCQUEVILLE, A., *De la démocratie en Amérique & Sur l'Algérie*, 1805-1859.

الذي، وإن لم يكن راضياً عن الأساليب المتبعة من طرف جيش الاحتلال من تقتيل وحرق وتدمير في حق السكان في السهول والجبال، إلا أنه لم يمانع في وضع يد جيش الاحتلال الفرنسي على كل ربوع البلاد، بدل الاستحواذ على المناطق الشمالية فقط، ولم يتوقف "دي توكفيل" عند هذا الحد، بل راح يشرعن استيطان الجزائر، ومن مبرراته: أولاً: على المستوى الجيوسياسي، على فرنسا أن تؤكد مكانتها كقوة في مواجهة

^١ للمزيد من المعلومات، راجع؛ صاحبي، محمد ، "السانسيمونيون وحملة وصف الجزائر:رونيه باصي René Basset نموذجاً"، دراسات في آثار الوطن العربي، ع. ١٨، ١٣٣٥- ١٣٥٣.

https://cguua.journals.ekb.eg/article_29654_1b260afc732fbe5a8797e3b2d126e563.pdf

خصمها انجلترا، ثانيا: إن الهيمنة على الجزائر من وجهة نظره، يضمن لفرنسا قاعدة عسكرية لأنها على الجانب الآخر من البحر الأبيض المتوسط ، أما ثالث مبرر من مبررات "دي توكفيل" المدافع عن حقوق السكان الأصليين والسود بأمريكا، فإنه بالجزائر حينذاك، سوف يقع في مستتقع العنصرية، إذ أقر بأن السكان الأصليين (أي الجزائريين) إنه يُعد السكان الأصليين شعباً أدنى و "بربرياً" (إلى حد ما) على عكس الفرنسيين^٢.

أما الروائي الكبير "فيكتور هوغو" (1802-1885) Victor Hugo، صاحب رائعة "البؤساء" و القاص المشهور "غي دي موباسان" Guy de Maupassant (١٨٥٠-١٨٩٣) فقد ذهب إلى أبعد ما ذهب إليه "دي توكفيل" حيث نعنا الجزائريين والعرب جميعا بألقاب ونعوت مشينة، تتضح بالكراهية والعنصرية والدونية، وهي النعوت التي جاءت الثورة الفرنسية لإلغائها من قاموس الفرنسيين واستبدالها بالأخوة والتضامن والحرية وفق منظور العالمية L'universalité.

والتساؤل المطروح في هذا الصدد، هو: هل كانت طرائق تجميع الوثائق الجزائرية وترجمتها إلى اللغة الفرنسية منها سارت عليه المجلة منذ بداية صدورها إلى غاية توقفها، بهدف المساهمة في بسط سيطرة الاحتلال الفرنسي على كل البلاد الجزائرية؟ أم كان ذلك نتيجة من نتائج السيرورة البحثية التي طبعت علوم القرن التاسع عشر، القائمة على الدراسة الحيادية والنبش في كل ما من شأنه، التأريخ للنشاط العلمي والثقافي مهما كانت مواقعه؟

والحقيقة التي يمكن البوح بها بداءة، هي أنه على الرغم من الظروف العامة التي اتسمت بها هذه المرحلة من تاريخ الجزائر، والأسباب التي من أجلها أنشئت "الجمعية التاريخية الجزائرية" ، فإنه من باب الموضوعية والتجرد القول بأن النتائج التي توصلت إليها فرق الباحثين والآثارين والمحققين التابعين لهذه الجمعية، كانت لها الدور الكبير في إرساء قواعد المنهج العلمي بالجزائر وفي سائر القطار الربية طيلة القرن التاسع عشر وجزء مهم من القرن العشرين..

١. "الجمعية التاريخية الجزائرية": تأسيسها وأدوارها:

١,١. تأسيسها:

لقد سبق أن تمّ التطرق إلى هذا الموضوع بالتفصيل خلال الندوة العلمية الثامنة من دراسات في آثار الوطن العربي سنة ٢٠٠٦م، عبر مداخلة تحمل عنوان: المخطوطات العربية في الجزائر في المجلة الإفريقية. وبما أن إشكالية هذه المساهمة ستتكتب بالدراسة والتحليل على الوثائق الجزائرية خلال النصف الثاني من القرن ١٩م. فأرى أنه من الضروري استحضار بعض المعلومات الخاصة بالجمعية التاريخية

² LE COUR GRANDMAISON , O.,« Quand Tocqueville légitimait les boucheries » in *Le monde diplomatique*, Juin, 2001, 12 . https://www.monde-diplomatique.fr/2001/06/LE_COUR_GRANDMAISON/1706. Accessed at 16/07/2022

الجزائرية المؤسسة من طرف سلطات الاحتلال الفرنسي خلال تلك الفترة، ظروف تأسيسها والأدوار المنوطة بها، حتى يمكنها تسليط الضوء على طرائق تجميع الوثائق والخلفيات السياسية التي كانت وراء ذلك.

فإذن، وبتشجيع من أعلى هرم في السلطة و هو وزارة الحربية بالجزائر العاصمة، يقوم "أ.بربروجر" مع ثلثة من الضباط السامين في الجيش الفرنسي و عدد من المستعربين الفرنسيين بتأسيس الجمعية التاريخية الجزائرية بعد مرور ستة عشرة عاما على احتلال الجزائر.

ولقد كان قرار إنشاء هذه الجمعية في سنة ١٨٥٦م بحسب "بربروجر" نفسه بعدما فشلت تجارب الدوريات والصحف التي بدأت في الصدور مع بداية الاحتلال في إعطاء الصورة الحقيقية للبحث العلمي، يقول بربروجر: "لقد أسهمت هذه الدوريات في إعطاء لمحات عن البحث العلمي في هذا البلد، غير أن النتائج المتوصل إليها لم تكن منظمة تنظيما مُحكما يؤسس لقواعد بحث علمي حقيقي، وهو الأمر الذي دفعنا في الجمعية التاريخية الجزائرية إلى إنشاء "المجلة الإفريقية..".^٣

- من الأهداف التي سطرته الجمعية التاريخية في برنامجها:
- جمع ودراسة والتعريف عبر النشرات المتخصصة بكل الأحداث التي تتصل بتاريخ إفريقيا، وخصوصا تلك المتعلقة بالجزائر منذ العهد الليبي (العصر القديم) إلى غاية فترة حكم الأتراك والوجود الفرنسي.
- تتطلق الجمعية في مفهومها للتاريخ من بعده العام الذي يشمل: التاريخ بمعناه الضيق- اللغات- الجغرافيا- الفنون - وعلوم إفريقيا الشمالية.
- تستخدم الجمعية كل الوسائل المتاحة للحفاظ على المعالم التاريخية الثابتة (أقواس النصر، البنيات، الأعمدة..) وبالأخص المعالم الأخرى المتقلبة..
- أما في المادة رقم ٢٧ الخاصة بتسيير الجمعية من الناحية البحثية فنقرأ ما يلي:
- تقوم الجمعية بنشر مجموعة بحوث وأعمال يكون الأساس فيها:
- التقارير المكتوبة من طرف اللجان التابعة للجمعية.
- المذكرات والأعمال العلمية الأخرى.
- المذكرات والأعمال غير المنشورة سواء الموجودة بالأرشيف أو في أماكن أخرى.
- نشر مقالات منشورة في دوريات إفريقية وآسيوية أخرى، ترى الجمعية أنها مفيدة .
- تركيبة بعض أعضاء الجمعية التاريخية الجزائرية:
- يتكون أعضاء الجمعية التاريخية من فئتين مختلفتين هما: فئة من الباحثين والمستعربين، وفئة أخرى من العسكريين.

^٣ صاحبي، محمد، "المخطوطات العربية في الجزائر في المجلة الإفريقية : دراسة إحصائية بيبليوغرافية"، في كتاب المؤتمر التاسع للاتحاد العام للآثريين العرب، القاهرة: المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي لاتحاد الجامعات العربية، ٢٠٠٦م، ٦٤٤-٦٤٥.

- الفئة الأولى: أديان بربورجر محافظ مكتبة ومتحف الجزائر رئيسا.
- بريزنيي – Brézniier أستاذ كرسي اللغة العربية بالجزائر.
 - ديفوس – Devoulx مدير الأرشيف العربي بأمالك الدولة (Domaine).
- الفئة الثانية: البارون دي سلان – Baron de Slane المترجم الرئيسي بالجيش وملحق الحكومة العسكرية، نائبا لرئيس الجمعية.
- الماريشال كونت راندون Randon الحاكم العام ، مؤسس الجمعية التاريخية رئيسا شرفيا.
- الكولونيل دي نوفو De Neveu النائب الثاني لرئيس الجمعية.
- وبقراءة سريعة لوظائف بعض أعضاء " الجمعية التاريخية الجزائرية " نستنتج بأن العمل المنوط بها له مبررات عسكرية أكثر منها علمية، حيث يُقصد من وراء التأسيس إضفاء الطابع العلمي على بحوث ودراسات الجمعية التاريخية هذه.
- ٢,١. أدوار "الجمعية التاريخية الجزائرية":
- مثلها في ذلك، مثل المجلة العلمية " جورنال أزياتيكي Journal asiatique – التي بدأت في الصدور في ١٨٢٢م عن الجمعية الآسيوية، ارتأى القائمون على " الجمعية التاريخية الجزائرية " إصدار مجلة "علمية" تبحث في تاريخ شمال إفريقيا على وجه التحديد، وبالأخص في كل ما يتعلّق بتاريخ الجزائر العام، وكان لها ذلك مع بداية سنة ١٨٥٦م. لكن على العكس المجلة الآسيوية التي لا تزال تصدر إلى الآن، توقفت المجلة الإفريقية عن الظهور في الجزائر أو في الخارج عن الظهور بمجرد حصول الجزائر على استقلالها.
- وإذا كانت أهداف المجلة المُعلنة هي الوصول إلى " أن تُصبح مكتبة تاريخية إفريقية حقيقية تُكَمّل ما يقوم به علماء أوروبا من بحوث حول تاريخ إفريقيا والمستعمرات "، فإن ما لم يُعلن عنه هو كتابة تاريخ المنطقة من منظور استيطاني يُجَرّد الجزائريين من تاريخهم؛ وذلك باتباع الخطوات التالية المبثوثة في ثنايا الدراسات والمقالات^٤:
- جمع ودراسة الوثائق التاريخية والاجتماعية وغيرها، دراسة تحليلية للاستفادة منها عند الحاجة، وبالأخص في مجال نزع الملكيات فيما يخص الوثائق التي لها علاقة بالملكيات.
- التركيز على الآثار والمنقوشات والنمّيات الرومانية من أجل ربط منطقة شمال إفريقيا والجزائر خصوصا بأوروبا اللاتينية –المسيحية. وقد أسهمت العديد من هذه الدراسات والبحوث في وضع برامج التدريس لأبناء المعرّين والقلّة المحظوظة من أبناء الجزائريين..
- التركيز بالدراسة النقدية الجارحة على كل ما هو إسلامي في الجزائر وبقية المناطق العربية والإسلامية الأخرى، فأمسى الرسول عليه الصلاة والسلام في كتاباتهم " النبي المزعوم".

٤ صاحبى ، "المخطوطات العربية في الجزائر في المجلة الأفريقية"، ٦٤٦.

- ربط وجود العثمانيين بالجزائر والعالم الإسلامي بالجهل والتزمت والفوضى، بل إن تاريخ المسلمين عامة والجزائريين خصوصا قد وقع في قبضة المقص الاستعماري، فراح دارسو المجلة الإفريقية - أو جزء منهم على الأقل - ينددون بما قام به المسلمون تجاه المسيحيين من سبي وحبس خلال الفترة التي أعقبت سقوط بعض الإمارات الأندلسية في يد المسيحيين؟؟

- إظهار صورة الفرنسي والمدنية الأوروبية على أنها يُشكّلان الخلاص للجزائريين والمسلمين عامة...
- التشجيع على استخدام اللغة الجزائرية العامية في الكتابات الأدبية عامة بنشر الكتب التي تصب في مواضيع إباحية.

٣,١. تركيز الجمعية التاريخية الجزائرية على الآثار الرومانية وإهمال الآثار الإسلامية:

من المعروف أن الحملة الفرنسية على الجزائر سنة ١٨٣٠م، كانت -حسب الأدبيات الفرنسية آنذاك- تأديبية وردّ فعل على الأحداث السياسية والاقتصادية التي كانت تعرفها فرنسا، أي التنفيس على ثورة ١٨٣٠م أو ثورة جويلية، التي كانت تطالب برأس الملك شارل العاشر لتردي الأحوال الاجتماعية والاقتصادية. ° غير أنه، مع استقرار الأحوال ببباريس، بدأ قادة الاحتلال الفرنسي بالنظر إلى الجزائر باعتبارها المنقذ من المجاعات التي كانت تضرب فرنسا دوريا، لما تمتلكه من سهول خضراء شاسعة وغابات وغير ذلك مما تمّت الإشارة إليه سابقا، حول التنافس المحموم بين الإمبراطوريتين الفرنسية والبريطانية.

يقول المؤرخ الفرنسي " بنجامين ستورا": إنه كان ضمن صفوف الجيش الفرنسي الغازي خلال الثلاثينيات والأربعينيات من القرن التاسع عشر، عدد من العلماء، كانوا يُتقنون لغات محلية مثل العربية والقبائلية والشاوية؛ لأنه كان من الضروري معرفة وفهم السكان المحليين من أجل التمكن من اختراق مساحة هذا الكل الهائل الذي كان الجزائر، وفي نفس الوقت، على الصعيد العسكري والإداري والثقافي والديني...^٦، وقد أثمرت إحاطة وإمام العسكريين الفرنسيين باللغات المحلية بالجزائر، عددا مهولا من المعلومات والملاحظات المكتوبة والكرتوغرافية، كانت المعين " خلال الاحتفال بمرور قرن من الزمان سنة ١٩٣٠م، للمؤرخين الفرنسيين الكولونيين على كتابة تاريخ المنطقة والجزائر على وجه الخصوص، "من قناعة بأنها جزء لا يتجزأ من فرنسا، وهكذا يعود الوجود الفرنسي إلى الإمبراطورية الرومانية، ومن ثمة التركيز على لاتينية الجزائر، مع وجود صلة أسطورية قديمة بين هذه المنطقة من شمال إفريقيا وجنوب أوروبا...^٧.

° استمرت هذه الثورة ببباريس، ودامت ثلاثة أيام، أطلق عليها نعت الثلاثة المجيدة Les trois glorieuses أطاحت بالملك شارل العاشر وأنت بالملك لويس فيليب الأول ابن عم الملك شارل العاشر.

https://www.larousse.fr/encyclopedie/divers/monarchie_de_Juillet/126252. Accessed at 03/08/22

⁶ STORA, B., « L'Histoire de l'Algérie, sources, problèmes, écritures » in revue *Inssaniyat* 25-26, 2004, 216. <https://journals.openedition.org/insaniyat/6476>. Accessed at 08/08/22

⁷ STORA, « L'Histoire de l'Algérie, sources, problèmes, écritures », 217.

ومع إنشاء الجمعية التاريخية، اتضحت المعالم الرئيسة للمنهجية التي ستنبع في التفتيش ورصد ودراسة الوثائق الجزائرية المحلية، على اعتبار أنها من آثار عهد باند هو العهد الإسلامي والعثماني، يجب محوه أو تشويبه والتركيز فقط على الآثار والوثائق الرومانية والمسيحية.

ومن أهم الوجوه البارزة الفكرية و الدينية التي كان لها باع طويل في هذا الباب، الكاتب والمفكر الفرنسي " لويس برتراند (Louis Bertrand (1856-1941)) ورجل الدين الذائع الصيت بالجزائر الفرنسية، الكاردينال "شارل لافيغري Charles Lavigerie (1825-1892)، فأما الأول، وبمساعدة من صديقه المؤرخ المشهور "ستيفان غزال" صاحب كتاب " Histoire ancienne de l'Afrique du Nord " والذي كان أيضا من دعاة لاتينية شمال إفريقيا سيركب " لويس برتراند" موجة إعادة إحياء وتثمين الاكتشافات الأثرية من مسارج ومدن، والدراسة الأثرية المرتبطة بها، وإدخالها عنوة في مخيال سكان المنطقة لإعادة ربطهم بالماضي اللاتيني^٨؛ أما الثاني، وهو الكاردينال "لافيجري" فمذ دخوله إلى الجزائر سنة ١٨٦٦م، كرجل دين ارتقى في المسؤوليات الدينية إلى أن يُصبح كاردينال الجزائر و قرطاج، أصدر أمرا بإجبارية دراسة اللغة العربية في الندوات الكنسية، ومن شدة إعجابه بالكاتب " لويس برتراند " المذكور آنفا، دعا لتعمير الجزائر بالمسيحيين، "بهدف إعادة المسيحية إلى شمال إفريقيا، وطالب المثقفين بالاهتمام أكثر بالآثار الرومانية والمسيحية للتأكيد على وجهة نظره ونظر سابقه، حول لاتينية شمال إفريقيا والجزائر على وجه الخصوص" ، ومن شدة حماسه للقضية، وملاحظاته بعدم استجابة السكان المحليين لندائه، عمد إلى شراء الأطفال العبيد من الدول الإفريقية المجاورة وإدخالهم إلى المسيحية^٩.

من النموذجين الموجودين بالملاحق (لوحة ١ و ٢) ومن نماذج أخرى لا يتسع لها المقام هنا، استوتحت "الجمعية التاريخية الجزائرية" منهجيتها الرئيسة في معالجة الآثار الجزائرية المادية وغير المادية، وارتكزت على نقطتين أساسيتين هما:

- التركيز على كل ما من شأنه ربط الجزائر وشمال إفريقيا بفرنسا اللاتينية.

^٨ كان من أوائل الكتاب والمنظرين للجزائر اللاتينية، بل شمال إفريقيا اللاتينية، من خلال كتاباته الروائية ذات الطابع الكولونيالي مثل *Le Sang des races* سنة ١٨٩٩ و *L'Invasion* سنة ١٩٠٨ .

ومن مقولاته المشهورة حول لاتينية شمال إفريقيا: " إفريقيا الفرنسية هي إفريقيا الرومانية التي تستمر في العيش..و" إن الوجود العربي الإسلامي بالمنطقة والجزائر على الخصوص حلقة من الحلقات التي يجب نسيانها... للمزيد من المعلومات:

KAHINA, M. , « Le Mythe De La Latinité Dans L'algérie Coloniale Et Post-Coloniale Louis Bertrand Et Sa Postérité. » *Academia, Algerian academic institutions*,1961,319-328

https://www.academia.edu/32957866/Le_mythe_de_la_latinit%C3%A9_dans_lAlg%C3%A9rie_coloniale_et_postcoloniale. Accessed at 03/06/2022.

^٩ François ,A., « Charles Lavigerie », *mémoire d'Afrique du nord, Biographies*, Alger, 1892. http://www.memoireafriquedunord.net/biog/biog06_Lavigerie.htm. Accessed at 11/05/22

- إهمال بل هدم ومحو كل أثر يوحي بتميز المنطقة، سواء في المجال التاريخي الصرف أو المجال الديني والثقافي.

وعلى أساس ذلك، بدأ خلال الغزوات الهمجية طيلة الخمسين سنة التي تلت الدخول الأول للاحتلال سنة ١٨٣٠م، حرق وهدم وتشويه للآثار العربية الإسلامية وغيرها، وتزوير للوثائق الأرشيفية التاريخية والمدنية (من عقود ملكية وغيرها) لتبدأ أكبر عملية استحواذ في التاريخ لبلد بأكمله، وهو الأمر الذي أدى إلى سلب البلد من تاريخه ومكونات ثقافته.

ففي رسالة لضابط فرنسي يُدعى الكولونيل "لوسيان فرانسوا دي مونتانياك Lucien-François de Montagnac" غالبًا ما استُخدم الأرشيف الجزائري والأعمال الفنية الخشبية كوقود لنيران المعسكرات، ثم يضيف: "... يجب أخذ كل شيء ونهبه دون تمييز في العمر أو الجنس: يجب ألا ينمو العشب بعد الآن حيث وطأت أقدام الجيش الفرنسي [...]". هكذا يجب أن تثن حربا على العرب: اقتلوا كل الرجال حتى سن الخامسة عشر، خذوا كل النساء والأطفال وتحملهم وإرسالهم إلى جزر ماركيساس أو في أي مكان آخر...".¹⁰

وبهذه الصفة والأسلوب "الحضاريين"، تمكّن الاحتلال الفرنسي ومعه "الجمعية التاريخية الجزائرية" من تغييب جزء مهم من تاريخ الجزائر الثقافي، بفعل استعمار وحشي، وليس حماية كما كان الشأن بتونس أو المغرب الأقصى، وهنا إجابة عن السؤال الذي يردده البعض: لماذا يغلب على الآثار بالجزائر الطابع الروماني والمسيحي أكثر من الطابع الإسلامي؟ .

٢. الآثار الإسلامية بالجزائر بين الهدم والاستحواذ:

بشهادة كُتاب ومؤرخين فرنسيين من القرن التاسع عشر، لم تمر على وضع يد الاحتلال الفرنسي على الجزائر عامة والجزائر العاصمة خاصة، عشرون سنة حتى بدأت ملامح المدينة تتغير بفعل الاستحواذ والهدم والطمس.

ينقل الكاتب الفرنسي "أوميرات Aumerat" في مقالة بالمجلة الإفريقية سنة ١٨٩٧م، إنه، في سنة ١٨٣٢م، استحوذت الدولة (يقصد دولة الاحتلال) والأوروبيون على معظم عقارات الجزائر العاصمة وضواحيها، من مبانٍ وقصور وحدائق، بعدما كانت في سنة ١٨٣٠م ملكا للمسلمين. " ففي تعداد للأملاك العقارية الذي أمر به الجنرال "كلوزيل" يرجع في تاريخه إلى شهر أكتوبر سنة ١٨٣٠م، نعلم بأن ما كان داخل أسوار مدينة الجزائر العاصمة فقط، كان يتعدّى ٨٠٠٠ عقار، تنقسم إلى أربعة أنواع:¹¹

¹⁰ LIONEL, J., « Le saccage des Français » in Algérie : (2) Données historiques et conséquences linguistiques.. <https://www.axl.cefan.ulaval.ca/afrique/algerie-2Histoire.htm>.

¹¹ AUMERAT, M.M., « La propriété urbaine à Alger », IN *Revue Africaine* 41, 1898, 324. <https://www.algerie-ancienne.com/livres/Revue/revue.htm>

- النوع الأول: وأطلق عليه " البايك"، أي أملاك الدولة، وقد تمّ الاستحواذ عليه مع بداية الاحتلال.
 - النوع الثاني: بيت المال ويشمل الأملاك المنقولة وغير المنقولة التي لم يكن لها وريث، أو تلك التي تمت مصادرتها لسبب أو لآخر، تقوم الدولة ممثلة في "الخرناجي" ببيعها في المزاد العلني.
 - النوع الثالث: أملاك الخواص من عامة الناس، وتتمثل في المباني السكنية أو التجارية والحمامات والحدائق وغيرها.
 - النوع الرابع: أملاك المؤسسات وتشمل المساجد و"الحبوس" أي الوقف، والمدارس ومقرات الزوايا، وغيرها.
- ولقد كانت لهذه الأملاك العقارية، على اختلاف أنواعها، وثائقها الخاصة بها، تمكّن مريدو الجمعية التاريخية الجزائرية طيلة الخمسين سنة التي تلت الاحتلال، من جمعها وتصنيفها ودراستها، منها ما بقي بمركز الأرشيف الوطني بالجزائر العاصمة أو مصالح الأرشيف الأخرى بوهران أو قسنطينة، لكن أغلبها تمّ تحويله إلى فرنسا غداة الاستقلال.

أحصى التعداد المشار إليه آنفاً، عدد المساجد بالعاصمة، ١٠٣^{١٢}، منها ١٤ مسجداً تابعاً للمذهب الحنفي الذي كان يتبعه الأتراك، و ٨٩ مسجداً تابعاً للمذهب المالكي^{١٣} الذي كان يعتنقه الأهالي من الجزائريين عرباً وأمازيغ، لكن عدداً معتبراً من هذه المساجد، تمّ هدمها لفتح الطرقات أو بناء المستشفيات وما شابه ذلك، وتحويل البعض الآخر، مثلما هو الشأن مع "مسجد كنتشاة" العتيق (اللوحة رقم ٣ ورقم ٤ بالملاحق)، على سبيل المثال، الذي يرجع تاريخ بنائه إلى سنة ١٦١٢م وجرى توسيعه سنة ١٧٩٤م، وقد حوّلت السلطات الاستعمارية إلى كنيسة إبان الاحتلال.

لم تعرف الجزائر العاصمة هدم وتحويل لآثارها، المدينة الجزائرية الوحيدة، بل تعادها هذا الأمر إلى مدن جزائرية عديدة، سنذكر على سبيل المثال، ما جرى لآثار مدينة تلمسان من طمس وهدم واستحواذ. ولعلّ " المدرسة التاشفينية" بتلمسان خير دليل على ما صرفته أيدي الاحتلال الفرنسي.

أسسها السلطان الزياني أبو تاشفين بن أبي حمو الأول في ظل الحكم الزياني المحلي (١٢٣٥م-١٥٤٥م) في وسط مدينة تلمسان حين كانت هذه الأخيرة عاصمة المغرب الأوسط (الجزائر)^{١٤} لكن عمارتها انطمست بالكامل منذ عام ١٨٧٢م بقرار من إدارة السلطات الاستعمارية بدعوى عدم تناسقها مع الهيئة

^{١٢} في دراسة حديثة للمؤرخة الفرنسية " Isabelle Grangaud"، كان عدد المساجد بالجزائر العاصمة سنة ١٨٣٠ مائة

واثنين وعشرين (١٢٢) مسجداً، لم يبق منها واقفاً سنة ١٨٦٢م سوى واحد وعشرين (٢١) مسجداً فقط.

GRANGAUD, I., « Le passé mis en pièce(s) Archives, conflits et droits de cité à Alger, 1830-1870» , Dans *Annales. Histoire, Sciences Sociales* 72, N°. 4, 2017, 1023 -1053. <https://www.cairn.info/revue-Annales-2017-4-page-1023.htm> , Accessed at 12/06/22

^{١٣} AUMERAT, «La propriété urbaine à Alger», 325.

^{١٤} شرقي، الرزقي، " المدرسة التاشفينية بمدينة تلمسان الزيانية (استقراء وإعادة بناء لمخلفاتها الأثرية)" ، دراسات في آثار الوطن العربي ٩، القاهرة: المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي لاتحاد الجامعات العربية، ٢٠٠٧م، ٤٥٥.

<https://dx.doi.org/10.21608/cguaa.2007.38550>

العمرائية الجديدة المؤدية إلى المدينة وتعويضها بدار البلدية الحالية^{١٥}؛ وذلك على الرغم من المعارضة التي أبدتها بعض الأهالي والأوروبيين أمثال المهندس المعماري (Edmond Duthoit (1837-1889)، الذي هاله أن يُهدم أحد الرموز الحضارية المتميزة بالمدينة.

تتسم هذه المدرسة- حسب بعض الدارسين- عن غيرها من المدارس المشيدة بالغرب الإسلامي بعدة خصائص معمارية وزخرفية، تجعل منها أنموذجا معماريا وفنيا فريدا في تاريخ العمارة والفن بالغرب الإسلامي.^{١٦} ومرد هذا التميز هو بعض النماذج من لوحات الزليج التي لا تزال شاهدة على جمالية المعمار بتلمسان حينذاك (لوحة ٤-٦).

ولقد تمكن هذا المهندس المعماري الفرنسي من الحصول على ترخيص من السلطات الاستعمارية على نقل جزء من فسيفسائها إلى متحف تلمسان، ومتحف الجزائر، وجزء آخر من القطع الأثرية الجميلة إلى متحف اللوفر Louvre، ولكن سرعان ما عادت هذه القطع إلى الجزائر بعد أن تمكن قرار المحافظ من إعادة القطع إلى شمال إفريقيا وبالتحديد إلى متحف الجزائر ستييفان غزال Stephane Gsel^{١٧}.

والمثير في الأمر، يتناقل بعضهم، أنه، عندما قرر أحد الضباط الفرنسيين هدم المعلم، أمر بنقل الزليج والرخام المزخرف إلى متحف "اللوفر" بباريس، قائلا: "جمالها لا يليق بالعرب". (؟)

٣. الوثائق الجزائرية محل الدراسة:

عرفت حركة تجميع الوثائق بالجزائر خلال النصف الثاني من القرن ١٩م، أي منذ تأسيس الجمعية التاريخية "الجزائرية" سنة ١٨٥٦م، إلى بداية القرن العشرين، بل وحتى سنة ١٩٣٠م، تاريخ الاحتفال الفرنسي بمرور قرن على الاحتلال، توسعا كبيرا من الناحية الجغرافية، متزامنا مع احتلال المدن والقرى الجزائرية، بالاستيلاء على كل ما يقع بين أيدي ضباطها من مقتنيات من وثائق ومخطوطات وحلي وغيرها. ومع مرور الزمن، تمكنت الجمعية التاريخية، والجمعيات "العلمية" الأخرى مثل "الجغرافية" و"الأثرية" التابعة لها، من الوصول إلى تقنيات وطرائق دراسة وتحقيق، مكنتها من الحصول على معلومات، كانت أساسية لمواصلة الاحتلال والسلب والنهب، وبالخصوص على العمائر والعقارات والأراضي وما إلى ذلك.

هذا من ناحية الزمن، أما من ناحية المصطلح، فإن المقصود بالوثائق في هذه الورقة، هو الوثائق الأرشيفية المكتوبة على الورق التي كانت بحوزة مؤسسات الدولة آنذاك (البايك) أو الزوايا والمساجد والعائلات والأشخاص، كما تمت الإشارة إلى ذلك سابقا، وفيما يخص الوثائق ذاتها أو مادة البحث

^{١٥} شرقي، "المدرسة التأشيفية بمدينة تلمسان الزبانية (استقراء وإعادة بناء لمخلفاتها الأثرية)"، ٤٥٥.

^{١٦} عولمي، محمد لخضر، "مدرسة التأشيفية بتلمسان جوهره الفن الزباني"، في مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج. ٥، ع. ٢٠، ٢٠٢١م، ٩٤٤. <https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/482/5/2/176766>

^{١٧} عمارة، فاطمة الزهراء، "المدارس التعليمية بتلمسان خلال القرنين (٨-١٤هـ/١٤-١٥م)"، رسالة ماجستير، جامعة وهران، ٢٠١٠م، ٣٩.

(Corpus)، فتتضمن ما تمّ تجميعه ودراسته من وثائق في لسان حال الجمعية التاريخية الجزائرية وهي المجلة الإفريقية.^{١٨} وقد تمّ وضع ما وقعت في أيدي الضباط والمراسلين والخواص من الفرنسيين من وثائق في مكتبة الجزائر منذ تأسيسها سنة ١٨٣٥م. إلى غاية ما فتحت مراكز الأرشيف بالمدن الجزائرية مثل مدينة الجزائر العاصمة وهران وقسنطينة طيلة القرن التاسع عشر.

أما طرائق تجميعها، وبعد وصولها إلى الهيئة العلمية للجمعية التاريخية، يقوم مجلسها العلمي، الذي هو مجلس علمي أيضا للمجلة الإفريقية، لسان حالها، المكوّن من مؤرخين وآثاريين ومترجمين معروفين، بدراسة الوثائق والتقارير المصاحبة لها، المكتوبة من طرف المراسلين، بتنقيح وتصحيح ونقد وترجمة الوثائق، وقد عُرف عدد منهم، كان لهم دور وصيت كبيرين طيلة القرن التاسع عشر في ميدان التحقيق والدراسة والفهرسة في ميدان المخطوطات والوثائق المخطوطة.

٤. طرائق تجميع الوثائق: مقارنة إحصائية تحليلية:

لم تختلف طرائق تجميع الوثائق بكل أنواعها من طرف أعوان "الجمعية التاريخية الجزائرية" التي ترأسها لأول مرة "أدريان بربروجر"، عن طرائق تجميع كل من شأنه الإسهام في بسط السيطرة على مدن وقرى الجزائر آنذاك، بحيث كانت هذه الوثائق والمقتنيات وما المخطوطات من أهم الأعين، التي من خلالها، يعاد كتابة تاريخ الجزائر بالتحديد طبقا للنظرة التي صاغها دعاة لاتينية المنطقة وعودة المسيحية إلى عُقر دارها، وهو الأمر الذي أدى فيما بعد إلى وضع برامج التدريس والسياسة التعليمية بالجزائر طيلة قرن ونيف من التواجد الفرنسي بالمنطقة، وهو السبب ذاته أيضا، الذي جعل من العسير على المعمرين الفرنسيين إلى غاية الآن اعتبار الجزائر غير فرنسية، حيث لا يزال دعاة "الجزائر الفرنسية" إلى الآن يحثون إلى ذلك الزمان، ولم يهضموا بعد أن الجزائر عربية أمازيغية مسلمة.

على العموم، تكاد تنقسم الوثائق المجمّعة من طرف الجمعية التاريخية الجزائرية، ودراستها ضمن أعداد المجلة الإفريقية، إلى ثلاثة أقسام:

- **القسم الأول:** ويشمل العقود؛ عقود الملكية وعقود الشهرة والوثائق ذات العلاقة بالعمائر والأماكن العقارية عموما، وهي الأغلب ضمن الوثائق التي حرص الاحتلال الفرنسي على الحصول عليها.
- **القسم الثاني:** ويتضمن الوثائق السياسية والعسكرية بكل أنواعها، الخرائط وغيرها.
- **القسم الثالث:** الوثائق الشرعية والدينية عموما مثل الفتاوى وغيرها.

^{١٨} دام نشر وطبع المجلة الإفريقية Revue Africaine مائة وست سنوات ضمن أربع مائة وواحد وسبعين عددا. احتوت موادها على كل ما يمت بصلته إلى التاريخ بمعناه العام: الآثار، الجغرافيا، اللغات وغيره، غير أن النصيب الأكبر فيها كان في باب الآثار والوثائق والمخطوطات والمقتنيات وغيرها.

للمزيد من المعلومات، راجع: صاحبي، محمد، "المجلة الإفريقية: دراسة إحصائية- بيبليوغرافية: للمخطوطات العربية"، مجلة الحوار المتوسطي، مج. ٤، ع. ١٠٥، ٢٠١٣-٢٠٢٢.

٤, ١. أولاً: وثائق المباني والعقارات: وهي عديدة جداً، مرتبطة بالمباني والعمائر المملوكة للجزائريين، رصدها وترتيبها ودراستها، كان بهدف إعطائها الصبغة القانونية، لتجريد أهالي المدن، وخاصة مدينة الجزائر العاصمة من ممتلكاتهم.

- عقد شهرة (Acte de notoriété) لصالح القائد (التركي) أبو الحسن علي بن فاراب مؤرخ في الثلث الأخير من سنة ١٠٢٥ هـ الموافق للأيام الأولى من ديسمبر ١٦١٦ م.^{١٩} قام بترجمته ودراسته المستشرق بريزنييه (L.G.Bresnier) وهو عقد يبيّن أن منطقة حامة بقسنطينة قد تحوّلت إلى غابة موحشة.

ويعلّق "أدريان بربروجر" رئيس الجمعية التاريخية ومؤسس مكتبة ومتحف الجزائر، على الوثيقة قائلاً: "إنها وثيقة تاريخية في غاية الأهمية تؤكد على أن ما جاء فيما كتبه الإسباني " هيدو Haedo" حول أوضاع مدينة قسنطينة في رحلته التي قام بها في السنوات المذكورة. وينجلي اهتمام "بربروجر" المتحمس لهذه الوثيقة محاولته تقديم تبرير تاريخي للسلطات الاستعمارية من أجل "تأميم" ممتلكات القواد والأمراء الأتراك، كما أمرت به السلطات باعتبار أملاك البايلك (الدولة) ومتعاونينهم يرجع بالضرورة إلى السلطة القائمة.

- عقد ملكية لمبنى أصبح يُستعمل من طرف الجيش الفرنسي ككنزة^{٢٠}، دُعي فيما بعد بكنزة "ماكارون". يرجع تاريخ كتابة هذا العقد إلى شهر شوال من سنة ١٠١١ هـ الموافق لـ ١٤-٢٣ مارس سنة ١٦٠٣ م. وقد تمّ فيه تعيين المبنى: مساحته، أدواره، عُرفه ... ومن المعلومات الواردة في هذه الوثيقة، الإشارة إلى أنه بُني من طرف علي باشا. وبعد دراسة هذا العقد، يكتشف محقق ودارس هذه الوثيقة المستعرب "أ.ديفولس A.Devouls" أن علي باشا المذكور هو علي العُجج المعروف بالفراطاس، وهو مسيحي سابق اعتنق الديانة الإسلامية، حكم فيما بين سنتي ٩٧٦ هـ و ٩٧٩ هـ.

- وثيقة مصدرها أرشيف إدارة مدينة قسنطينة،^{٢١} موضوعها: أوضاع مساجد قسنطينة وأوقافها (إحصاء). تتكوّن الوثيقة من صفتين، يرجع تاريخ كتابتها إلى عهد صالح باي (١٧٧١-١٧٩١ م.). عليها إمضاء المفتي سي محمد بن الموهوب والمفتي سي أحمد بن جلول، وفي أعلى الوثيقة، حسب كاتب المقال -فيرو- يوجد ختم صالح باي، مكتوب تحته عبارة: عبده صالح باي بن مصطفى مؤرخة في سنة ١١٨٥ هـ..

- عقد ملكية لبعض الدُور (سكنات) التي تحوّلت إلى ثكنات ومناطق عسكرية منها:^{٢٢}

- عقد ملكية خاص بكنزة باب عزون (الجزائر العاصمة)، كُتب في ربيع الأول ١٠٠٨ هـ (١١-٢٠ أكتوبر ١٥٩٩ م.)، ويشير كاتب الدراسة في المجلة، أن المبنى كان يسمى في العصر العثماني دار الإنكشارية.

¹⁹ REVUE AFRICAINE, journal des travaux de la société historique algérienne, Alger : Bastide, Libraire éditeur, vol.1 N° 06, 1856, 506.

²⁰ REVUE, journal des travaux, vol.1, N° 03, N° 14, 138-144.

²¹ REVUE, journal des travaux, vol.12, N° 68, 123-125.

²² REVUE, journal des travaux, vol.03, N° 14, 140.

ترجع ملكية المبنى إلى الأمير إبراهيم الخنزجي (لأول مرة)، ثم يأتي أسماء من تملكوا المبنى فيما بعد، يشير صاحب المقال إلى بعضهم مثل: مصطفى بن محمد وكيل الخراج لابراهيم الخنزجي، ثم مصطفى بن مصطفى أغا السبايس (SPAHIS) أي الفرسان.

- عقود تأسيس وبناء مساجد وزوايا:^{٢٣} منها على سبيل المثال، زاوية العباسي، ومسجد عبد الرحيم.

العقد الأول: ممضي من طرف القاضي الحنفي للجزائر العاصمة، في أواخر شهر ربيع الأول ١٠٨٩هـ/١٣-٢٢ ماي ١٦٧٨م، يقضي بتأسيس المسجد المذكور من طرف السيد مصطفى بن محمد الأندلسي، المدعو بن كرومبا.

- العقد الثاني: عقد ملكية يرجع تاريخه إلى سنة ٩٢٦ هـ/ ١٥١٩-١٥٢٠م، يشير إلى الاسم القديم للزاوية (وهو زاوية سيدي عيسى بن لحسن) و تحوّل باسم أبي العباس (أحمد بن سالم العباسي الشريف. لم يُذكر اسم القاضي الذي ختم العقد.(لوحة ٧).

٢،٤. ثانيا: الوثائق التاريخية: والهدف من تجميعها ودراستها من طرف أعوان الجمعية التاريخية الجزائرية، كان التعرف على أهم الجوانب المادية من تاريخ الجزائريين آنذاك.

- وثيقة حول أحداث "بايلك" وهران،^{٢٤} وثيقة مكتوبة من طرف أحد أمناء باي حسن، اكتشفها وترجمها إلى الفرنسية المستعرب " ألفونس روسو". تتحدث الوثيقة عن الفترة العثمانية في الجزائر، وبالتالي فهي -حسب بربروجر- تلقي الضوء على جانب مهم من التاريخ المحلي لمنطقة بايلك وهران.

- خريطة مدينة الجزائر سنة ١٥٤١م.^{٢٥} عثر عليها رجل فرنسي، يمكن أن يكون أحد مراسلي الجمعية التاريخية، يُدعى لويس بيس، يرجع تاريخها إلى عصر الملك "شارلكان" أثناء محاولته غزو مدينة الجزائر في وقته.

- وثيقة بعنوان: " وشاح الكتائب"^{٢٦} وهي وثيقة عسكرية منسوبة للأمير عبد القادر، قام بدراستها المستشرق "بربروجر" وهي كما يبدو ترجمة طبق الأصل قام بها ضابط فرنسي مستعرب غير مذكور في الدراسة. نُشر النص الأصلي حسب "بربروجر" ذاته، بقسنطينة بعناية العقيد "بواصونيه"، والوثيقة كانت محفوظة بمكتبة الجزائر خلال تلك الفترة.

وفي نفس الدراسة التي قام بها "بربروجر" يوجد ذكر لوثيقة أخرى، تحمل عنوانا غريبا هو: "مراقبة فيلق عربي".. ومن الملاحظات الأولية حول هاتين الوثيقتين ووثائق أخرى، أن القائمين على الجمعية، في هذه الفترة (١٨٦٥-١٨٧١) حاولوا ما في استطاعتهم فهم ودراسة الجزائريين وطُرق تفكير قادتهم العسكريين من أمثال الأمير عبد القادر، وكان الهدف التعرف على تتقل وتسلح الانتفاضات التي زاد عددها في كل ربوع الجزائر خلال الفترة المذكورة آنفا، مثل انتفاضة المقراني وغيره.

²³ REVUE, journal des travaux, vol.14, N^o. 81, 280-281.

²⁴ REVUE, journal des travaux, vol.01, N^o. 5, 399.

²⁵ REVUE, journal des travaux, vol.06, N^o.5, 395.

²⁶ REVUE, journal des travaux, vol.08, N^o.43, 98-103.

- وثيقة تاريخية تحمل عنوان " الزهرة النيرة"^{٢٧} ، نصها الأصلي تركي، عثمانلي، ترجمه إلى العربية محمد بن مصطفى، وقد رُتّب ضمن مقتنيات مكتبة الجزائر. ثم ترجم الوثيقة المستشرق الفرنسي "ديفولس الإبن". يتعلّق موضوع الوثيقة بحملة" أوريللي " O'reillly على الجزائر سنة ١٧٧٥م. و"أوريللي هذا هو الكونت ألكسندر أوريللي المولود بإيرلندا حوالي ١٧٣٥ م. ، وخدم في الجندية مع عدة جيوش: نمساوية، فرنسية، إسبانية. وهي من الوثائق الرسمية التركية من خلال شكلها الذي كان متداولاً آنذاك. عدد صفحاتها ست، تاريخ كتابتها هو ١١ جمادي الثاني ١١٩٤هـ (١٧٨٠م).

- وثيقة تاريخية تتحدث عن اجتماع قنصلية كل من إسبانيا بابلو كاشون، والدانمارك جينارو، والولايات المتحدة الأمريكية ، أش لي، بالجزائر العاصمة أثناء غزو ١٨٣٠^{٢٨} مؤرخة في ٣٠ أبريل ١٨٣٠م، ممضاة من طرف القنصل الإسباني. يتحدث نصها عن اجتماع الأطراف المذكورة من أجل إيجاد صيغة تمكّنهم من حماية مصالحهم بالجزائر وما قد يصيبهم من أذى من طرف سكان العاصمة، وبالأخص عندما لاحظوا تملل وعدم احترام أهالي الجزائر للقنصلية الأوروبية، ومن أجل حماية أنفسهم وأهاليهم من غضب السكان، قاموا باكتراء عمارة تحمل اسم حديقة بن طالب.

٣،٤. ثالثاً: الوثائق الشرعية والدينية (الفتاوى والإجازات).

- مجموعة وثائق شرعية متضمنة بمقالة تحت عنوان: مسألة الملكية من وجهة نظر الشرع الإسلامي La « question de la propriété jugée par les docteurs de la loi musulmane » للمستشرق فايست E.Vayssettes^{٢٩}.

بعد التطرق إلى المذهب المالكي بالجزائر، ودوره في الحياة الاجتماعية والسياسية للجزائريين، وبالأخص في ملكية الأراضي والمباني عموماً، واستعانة الأهالي بالمبادئ الأساسية في الشريعة الإسلامية (عن طريق الإمام ابن حمديس، قاضي قرطبة على سبيل المثال)، يتم ترجمة الوثائق والتعليق عليها.

- الوثيقة الأولى: نص بالعربية يرجع تاريخه إلى سنة ١٢٥٢هـ / ١٧٩٧م، عليها ختم قاضي مدينة ميلة الشيخ محمد المكي.

- الوثيقة الثانية: نص بالعربية أيضاً، عليه ختم القاضي المالكي لمدينة قسنطينة الشيخ الحفصي بن مشور مرزاقه بتاريخ ١٧٨٩م، وغيرها من النصوص الأخرى التي تدور حول نفس الموضوع.

غير أن الملفت للانتباه هو أنها تحوم كلها حول موضوع انتقال الملكية من شخص إلى آخر أو من مؤسسة إلى أخرى، وبالأخص إذا ما تعلّق بملكية لا صاحب لها (؟؟).

- وثيقة شرعية باللغة العربية تعود إلى سنة ١٢٥٢ هـ / ١٨٦٣م حول اعتناق المسيحيين للإسلام؛ هذا نصها: " الحمد لله، بالمحكمة الحنفية ببلاد الجزائر المحمية بالله تعالى، أمام السيد القاضي الواضع طبعه

²⁷ REVUE, journal des travaux, vol..03, N°18, 436-440.

²⁸ REVUE, journal des travaux, vol.09, N°49, 57-60.

²⁹ REVUE, journal des travaux, VOL.7, N°. 41, 351-352.

أعلاه، أشهد النصراني " يركوف ألنوسكو " لدى شهيديه أنه تبرأ من دين النصارى ودخل لدين الإسلام، وشهد أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمدا رسول الله، وسماه القاضي عبد الله بمحضر الإصباحي حسن بن سليمان، بتاريخ أواخر جمادي الثانية سنة ١٢٥٢هـ، وعبد الرحمان وفقه الله...^{٣٠} ترجم النص إلى اللغة الفرنسية المستشرق "بريزنييه" وعلق عليه.

- وثيقة تأسيس زاوية الشرفة (وثيقة أصلية) متضمنة بمقالة للمستشرق " ألبيير ديفولس " تحت عنوان: "البنائيات الدينية في الجزائر العتيقة" " Les édifices religieux de l'ancien Alger "، يعود تاريخ الوثيقة إلى سنة ١٠٢١هـ / ١٦١٢-١٦١٣م، ممضاة وعليها ختم الداوي محمد بن بقداش بن علي، عدد صفحاتها ست صفحات.

- وثيقة أصلية قديمة، حول جامع كتشاوة (تأسيسه)، يرجع تاريخها إلى سنة ١٠٢١هـ أيضا، تتكون من أربع صفحات، وقد تمت في عهد الباشا حسن، لم يذكر صاحب المقال أي ختم أو إمضاء على الوثيقة.^{٣١}

- إجازة من السلطة (الأترك) إلى سي عبد القادر بن محمد أمقران، ممضاة وعليها ختم الحاج محمد باشا، المدعو التريكي، في شهر جمادى الثانية سنة ١٠٩٣هـ / جوان ١٦٨٢م. وقد حكم الحاج محمد بن محمود باشا التريكي، بين سنتي ١٦٦١ و ١٦٨١م. وقد كان- حسب الوثيقة المدروسة- هو أول حاكم لمدينة الجزائر، وتم اختياره من طرف الانكشاريين. يتعلق موضوع الإجازة، ببسط سيطرة حامل هذه الإجازة، على قبيلة برياشة وأفخاذها: أولاد عبد الله، أولاد بري، برياشة، والإجازة تكون ضمن زاوية حامل هذه الإجازة، التي لم يذكرها الدارس الوثيقة.^{٣٢} (الوحة ٨).

³⁰ REVUE, journal des travaux, vol. 07, N°. 41, 351-352.

³¹ REVUE, journal des travaux, vol, 12, N°.68,103-116.

³² REVUE, journal des travaux, vol .12, N°.71, 384.

الخاتمة:

وختاما لهذا العرض حول الوثائق، سواء السياسية منها أو الدينية، التي أشرفت عليها الجمعية التاريخية الجزائرية، بدعم من سلطات الاحتلال آنذاك، يمكن الخروج بمجموعة من الاستنتاجات منها:

- أن الجمعية المذكورة قد قامت بترجمة ودراسة وتحليل ونشر لأكثر من سبعين موضوعا متعلقا بالوثائق، خلال فترة ١٥ عامًا فقط، منذ سنة ١٨٥٦م، تاريخ إنشاء الجمعية، وسنة ١٨٧١م، تاريخ الانتفاضات الشعبية المسلحة التي قام بها الجزائريون بعد أربعين ونيّف من الغزو العسكري.
- ضمن تسعين عددا من المجلة الإفريقية، التي هي لسان حال الجمعية، كُتِب ما لا يقل عن سبعين موضوعا يصب في دراسة وترجمة الوثائق الجزائرية، أي نسبة تفوق بـ ٧٥ بالمائة من إجمالي الدراسات التي نشرتها المجلة في الفترة المذكورة أعلاه.
- إن الموضوعات خلال هذه الفترة، كانت تصب في ترجمة ونقد الوثائق الجزائرية عامة، الخاصة بفترة الحُكم العثماني، وبالتحديد تلك التي لها علاقة بالمباني والقصور وأراضي الوقف وغيرها.
- إن جل الوثائق المنشورة والمدرسة، كانت ذات علاقة بالمباني والعمائر التي هدمتها السلطات الاستعمارية، وبنيت على أنقاضها التكنات، أو حوّلت طبيعتها كما هو الشأن بالنسبة للمساجد ومقرات الزوايا التي كانت منتشرة بكثرة في المدن الجزائرية آنذاك.

ثبت المصادر والمراجع:

أولاً- المراجع العربية:

- عمارة ، فاطمة الزهراء، " المدارس التعليمية بتلمسان خلال القرنين (٨-٩هـ/١٤-١٥م) "، رسالة ماجستير، جامعة وهران، ٢٠١٠م.
- 'AMARH , FATIMA AL-ZAHIRA', «al-Madāris al-ta'limīya bi-tilmisān ḥilāl al-qarinīn(8-9h./14-15m)», *Master's thesis*, Oran University, 2010.
- شرقي، الرزقي، " المدرسة التاشفينية بمدينة تلمسان الزبانية (استقراء وإعادة بناء لمخلفاتها الأثرية) "، دراسات في آثار الوطن العربي، ع. ٩، القاهرة: المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي لاتحاد الجامعات العربية، ٢٠٠٧م، ٤٥٥-٤٧٨.
- <https://dx.doi.org/10.21608/cguua.2007.38550>
- ŠĀRQĪ, AL-RĪZQĪ. « al-Mādīrāsh al-ttāšifīniā bī-mādīnī tīlīmīsān al-zīwyāniā (istaqrā' wa ī'ādī binā' li-muḥllfāthā al-'aṭarya) », *dirāsāt fī aṭār al-'waṭān al-'arabī* 9, Cairo : al-'māgīls al-'arābī li'l-dīrāsāt al-'līā wa'l-baḥiṭ al-'ilmī li'l-ltiḥād al-ḡāmi'āt al-'arabiya,2007,455-478. <https://dx.doi.org/10.21608/cguua.2007.38550>
- صاحبى، محمد " المخطوطات العربية في الجزائر في المجلة الإفريقية: دراسة إحصائية بيبليوغرافية"، في كتاب المؤتمر التاسع للاتحاد العام للآثاريين العرب، القاهرة: المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي لاتحاد الجامعات العربية، ٢٠٠٦م، ٦٣٩-٦٥٦.
- ŠAḤĪBĪ, MUḤAMMAD, «al-Maḥṭūṭāt al-'arabya fī al-ḡazā'ir fī al-maḡalḥ al-'āfirīqya : dirāsh ihṣā'ih bīblūgrāfīh», *fī kitāb al-mu'tamar al-tās' li'l-atihād al-'ām li'l-'ātāryin al-'arab*, Cairo : al-'māgīls al-'arābīya li'l-dīrāsāt al-'līyā wa'l-baḥiṭ al-'ilmī li-atihād al-' ḡāmi'āt al-'arabiya,2006,639-656.
- صاحبى، محمد، "السانسيمونيون وحملة وصف الجزائر: رونيه باصي René Basset أنموذجاً"، دراسات في آثار الوطن العربي، ع. ١٨، ١٣٣٥-١٣٥٣.
- ŠAḤĪBĪ, MŪḤĀMMĀ D, «al-Sānsīmūnīūn wa Ḥāmlī Waṣf al-ḡazā'ir:Rūnīh Bāṣī Anmūdāḡā», *dirāsāt fī aṭār al-'wāṭān al-'arabī*, N^o.18,1335-1353.
- صاحبى، محمد، "المجلة الإفريقية: دراسة إحصائية- بيبليوغرافية: للمخطوطات العربية"، مجلة الحوار المتوسطي ، مج. ٤، ع. ١، ٢٠١٣م، ١٠٥-١٢٢.
- ŠAḤĪBĪ, MUḤAMMAD ,«al-Maḡala al-ifrīqīya: dirāsh ihṣā'ih- bīblūgrāfīh: li'l-maḥṭūṭāt al-'arabīya», *miḡālī al-ḥiwār al-mutūṣfī* 4, N^o.1, 2013,105-122.
- https://cguua.journals.ekb.eg/article_29654_1b260afc732fbc5a8797e3b2d126e563.pdf
Accessed at 20/06/2022
- عولمي، محمد لخضر، "مدرسة التاشفينية بتلمسان جوهرة الفن الزباني"، في مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج. ٥، ع. ٢، ٢٠٢١م، ٩٤٣-٩٦٩.
- 'AULAMI, MUḤAMMAD LḤḌR ,« Mādrāsī al-'twāšfīnī bī-tālmīsān ḡāuhrī al-fān al-'zīānī», *fī māḡālī qābs li'l-dīrāsāt al-'īnsāniā wa'l-iḡtimā'īya*5,N^o.2.,2021,943-969.
- <https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/482/5/2/176766> Accessed at 20/06/2022

ثانياً: المراجع الاجنبية:

- KAHINA, M. , « Le Mythe De La Latinité Dans L'algérie Coloniale Et Post-Coloniale Louis Bertrand Et Sa Postérité », *Academia, Algerian academic institutions*,1961,319-328
https://www.academia.edu/32957866/Le_mythe_de_la_latinit%C3%A9_dans_l_Alg%C3%A9rie_coloniale_et_postcoloniale. Accessed at 03/06/2022.
- LE COUR GRANDMAISON , O.,« Quand Tocqueville légitimait les boucheries » in *Le monde diplomatique*, Juin, 2001, 12 .
https://www.monde-diplomatique.fr/2001/06/LE_COUR_GRANDMAISON/1706.
- STORA, B., « L'Histoire de l'Algérie, sources, problèmes, écritures » in *revue Inssaniyat*, N° .25-26, 2004, 216. <https://journals.openedition.org/insaniyat/6476>.
- LIONEL, J. « Le saccage des Français » in *Algérie : Données historiques et conséquences linguistiques*,<https://www.axl.cefan.ulaval.ca/afrique/algérie-2Histoire.htm>.
- AUMERAT ,M.M., « La propriété urbaine à Alger » IN *Revue Africaine*, N° 41, 1898, 324.
<https://www.algerie-ancienne.com/livres/Revue/revue.htm>
- GRANGAUD, I., « Le passé mis en pièce(s) Archives, conflits et droits de cité à Alger, 1830-1870» ,*Dans Annales. Histoire, Sciences Sociales* 72,N° 4,2017, 1023 -1053.
<https://www.cairn.info/revue-Annales-2017-4-page-1023.htm>
- REVUE AFRICAINE, *journal des travaux de la société historique algérienne*,Alger : Bastide. Libraire éditeur, VOL.1, N° .06, 1856.
- REVUE AFRICAINE, *journal des travaux de la société historique algérienne*, Alger : Bastide. Libraire éditeur, VOL.1 N° 06, 1856.
- REVUE AFRICAINE, VOL.01, N° 5,1857.
- REVUE AFRICAINE, VOL. 03, N° 14, 1858/59.
- REVUE AFRICAINE, VOL.03, N°1, 1859.
- REVUE AFRICAINE, VOL.06. N° 5, 1861.
- REVUE AFRICAINE, VOL.07, N°41, 1862.
- REVUE AFRICAINE, VOL.08, N°43, 1863.
- REVUE AFRICAINE, VOL.09, N°49,1864.
- REVUE AFRICAINE, VOL. 12, N° 68, 1867.
- REVUE AFRICAINE, VOL.14, N°81, 1869.

الكتالوج

نموذجان من اللوحات الإشهارية التي انتشرت خلال القرن التاسع عشر بالجزائر "اللاتينية"



(لوحة ١) صور ترويجية لجزائريين وسط آثار رومانية

<https://www.alamyimages.fr/photo-image-ruines-de-timgad-aujourd-hui-l-algerie-ville-coloniale-romaine-illustration-de-liebig-carte-de-collection-de-la-serie-demeure-83343974.html>

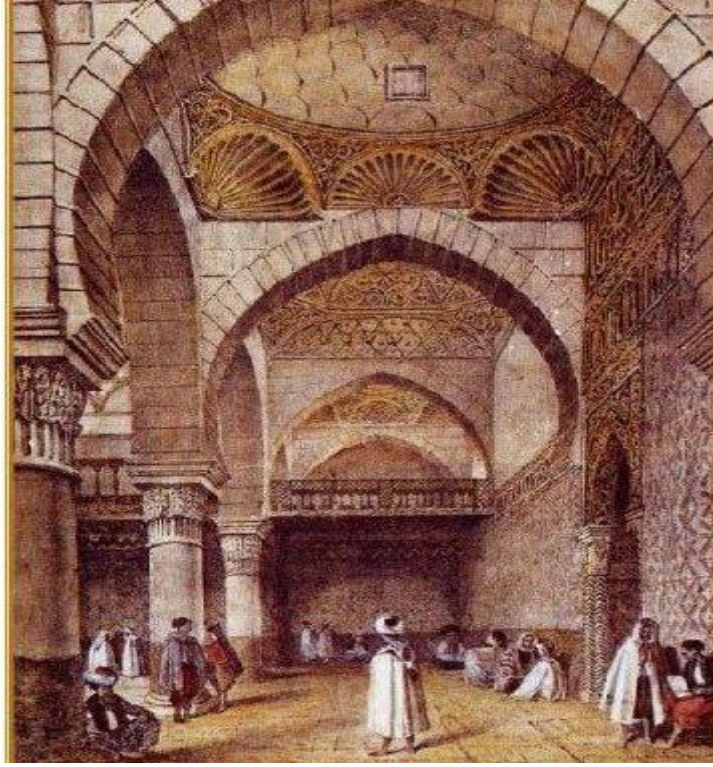
Accessed at 09/07/2022



(لوحة ٢) إعلان تسويقي للسكك الحديدية الاستعمارية يجمع بين جزائريين وآثار رومانية

<https://journals.openedition.org/nda/1613?lang=en>

Accessed at 09/07/2022

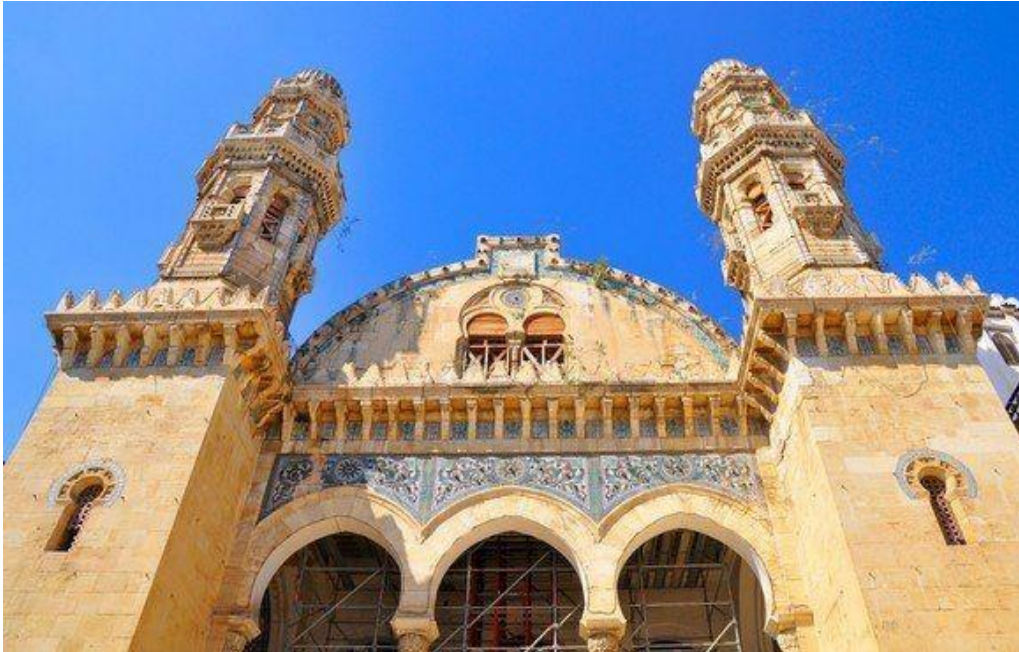


(لوحة ٣) جامع كتشاوة من الداخل قبل سنة ١٨٣٠، المصدر:

The Casbah Post

<https://www.thecasbahpost.com/ketchaoua-lhistoire-a-travers-la-pierre>.

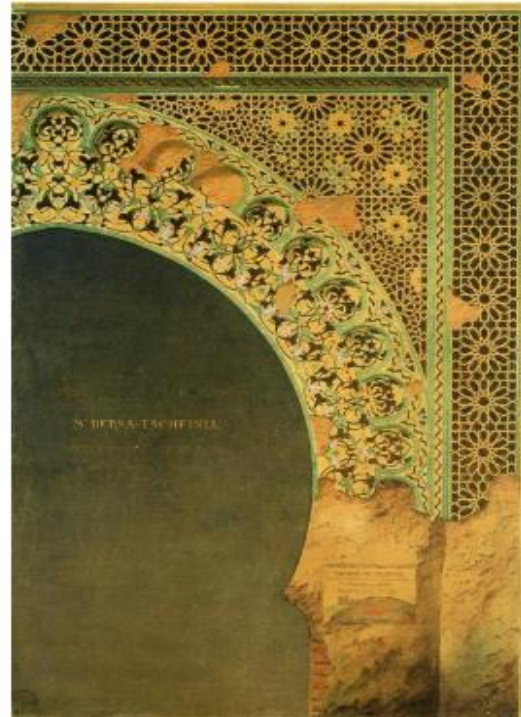
Accessed at 12/07/2022



(لوحة ٤) جامع كتشاوة بالجزائر العاصمة بعد الاستقلال، المصدر:

<https://www.google.com/search?q=mosqu%C3%A9+de+ketchaoua+apres+1%27independance&client=firefox>

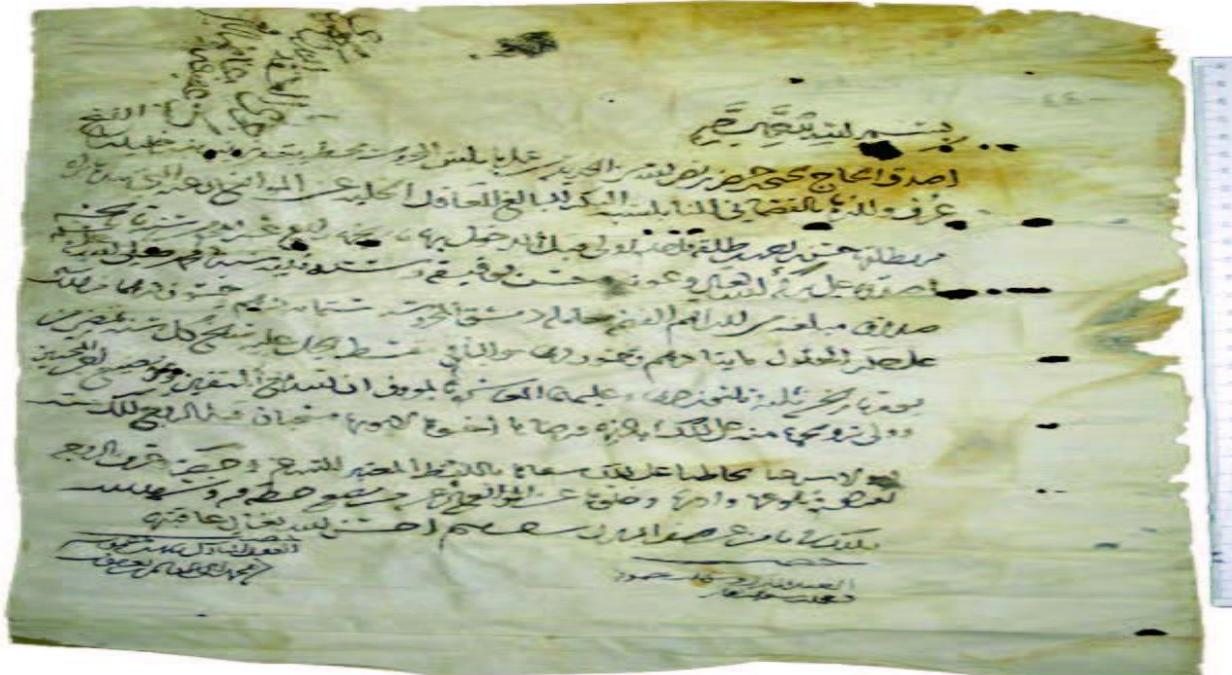
Accessed at 31/03/2023.



(لوحة ٦) واجهة البوابة الغربية

(لوحة ٥) عقد البوابة

شرقي، "المدرسة التاشفينية بمدينة تلمسان الزيانية"، ٩٥١.

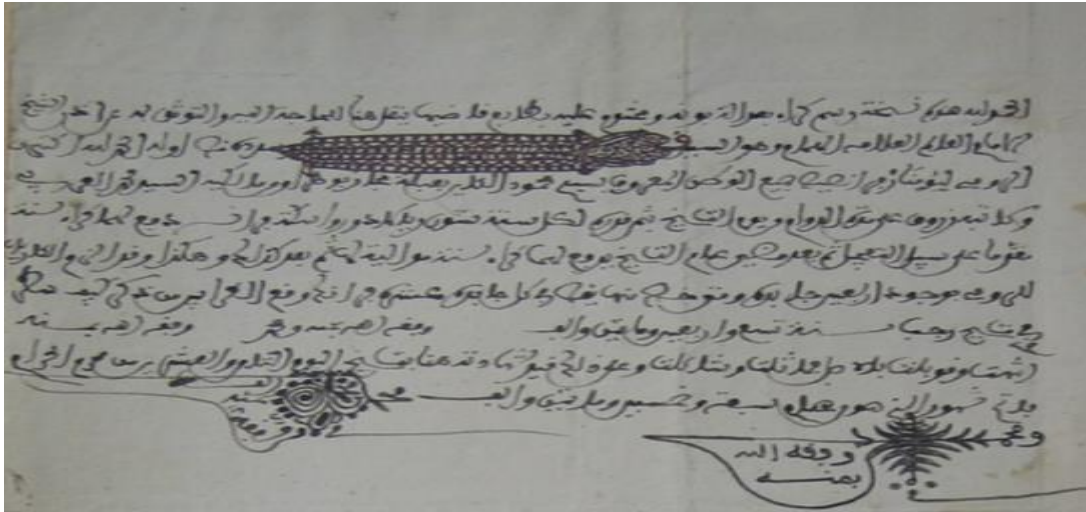


(لوحة ٧) عقد بيع

[Institut de recherches et d'études sur les mondes arabes et musulmans](http://www.institut-recherches-et-etudes-sur-les-mondes-arabes-et-musulmans.fr)

IREMAM, UMR 7310, CNRS/Aix Marseille Université,

Accessed at 10/09/2022



(لوحة ٨) نموذج من الإجازات قبل الاحتلال

[Institut de recherches et d'études sur les mondes arabes et musulmans](http://www.institut-recherches-et-etudes-sur-les-mondes-arabes-et-musulmans.fr)

IREMAM , UMR 7310 , CNRS/Aix Marseille Université, Accessed at 12/06/2022

,Accessed at 10/09/2022